

بسم الله الرحمن الرحيم

المصباح المنير في تفسير ابن كثير (١١٣)

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

قال المفسر -رحمه الله تعالى- في تفسير قوله تعالى: **{الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَدَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَدَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ} [سورة البقرة: (٢٦٢-٢٦٤)] "يمدح -تبارك وتعالى- الذين ينفقون أموالهم في سبيله، ثم لا يتبعون ما أنفقوا من الخيرات والصدقات منّا على من أعطوه، فلا يمتنون به على أحد، ولا يمتنون به لا بقول ولا بفعل.**

وقوله: **{وَلَا أَدَى}** أي لا يفعلون مع من أحسنوا إليه مكروهاً يحبطون به ما سلف من الإحسان، ثم وعدهم الله تعالى الجزاء الجزيل على ذلك فقال: **{لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ}** أي ثوابهم على الله لا على أحد سواه، **{وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ}** أي فيما يستقبلونه من أهوال يوم القيامة، **{وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ}** أي على ما خلفوه من الأولاد، ولا ما فاتهم من الحياة الدنيا وزهرتها لا يأسفون عليها؛ لأنهم قد صاروا إلى ما هو خير لهم من ذلك".

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام على رسول، أما بعد:

فقد سبق الكلام على أن الأقرب في حمل الآيات المادحة للمنفقين أموالهم في سبيل الله على العموم في الجهاد وغير الجهاد.

وقوله سبحانه: **{ثُمَّ لَا يَتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَدَى}** المن: نوع من الأذى ولكنه خاص منه، فالمن: أن يمتن على المعطى بالعطية، بأن يذكره ويبيته بها، أو يقرره بإحسانه إليه...،.

والأذى: يحصل بهذا المن ويحصل بغيره، كأن يعطيه ثم يسمعه ما يكره، بأن يغلظ عليه بالقول أو يشتمه أو يجرح مشاعره أو يرفع صوته، أو يبدي امتعاضه وتذمره منه، أو نحو ذلك من الكلام، فهذه الأمور قد تذهب بأجر صدقته، سواء كان ذلك بطريق مباشر أو غير مباشر.

"ثم قال تعالى: **{قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ}** أي من كلمة طيبة ودعاء لمسلم، **{وَمَغْفِرَةٌ}** أي عفو وغفر عن ظلم قولي أو فعلي، **{خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَدَى وَاللَّهُ غَنِيٌّ}** عن خلقه.

{حَلِيمٌ} أي يحلم ويغفر ويصفح ويتجاوز عنهم".

القول المعروف من كلمة طيبة أو دعاء لمسلم في حال الاعتذار، وكذا التلطف من العبد في الكلام والعبارة، خير وأفضل من العطاء مع الأذية وجرح المشاعر، أو المن عليه، أو إبداء الضجر منه، والناس قد تذهب أجور صدقاتهم بسبب هذه الأمور المحتقة بها، وقد قال دريد:

فلخير دهرك أن تُرى مسئولاً
فبقاء عزك أن تُرى مأمولاً

لا تدخلك ضجرة من سائل
لا تجبهن برد وجه مؤمل

قوله سبحانه: **{وَمَغْفِرَةٌ}** قال: أي عفو وغفر عن ظلم قولي أو فعلي صدر من هذا السائل، إذ إنه قد يصدر منه إساءة، أو يتكلم بكلام لا يليق، أو يلح في الطلب...، وبعضهم جعل معنى المغفرة من الغفر: وهو الستر مع العفو، والتجاوز في عدم المؤاخظة بالإساءة؛ ومنه سُمي المغفر الذي يوضع على الرأس بذلك؛ لأنه يستتر رأس لابس، ويقيه الضرب، والمعنى أن تستر خلته حين أظهر لك حاجته ومسغبته وقصدك في الطلب دون غيرك، واختار هذا الرأي كبير المفسرين ابن جرير الطبري -رحمه الله-.

وقيل: المغفرة بالنسبة للسائل نفسه، بمعنى أن السائل ينبغي له أن يقدر، وأن يلتمس العذر، ويغفر للإنسان الذي سأله فلم يعطه، وهذا المعنى بعيد.

قوله: **{وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ}** يحتل في المعنى إذا ربطناه بالآية، أن الله غني عن صدقاتكم، حلیم فلا يعجل العقوبة لهذا المان، ويحتل معنى آخر وهو أن الله -عز وجل- مع غناه الكامل المطلق إلا أنه حلیم برغم ذلك، وأنتم مع فقركم وقلة ما في أيديكم تضجرون حينما تسألون شيئاً من هذا الحطام الذي في أيديكم، والمعنى الذي قبله أحسن منه، والله أعلم.

"وقد وردت الأحاديث بالنهي عن المن في الصدقة، ففي صحيح مسلم عن أبي ذر -رضي الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **{(ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب)}**، ولهذا قال الله تعالى: **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى}** [سورة البقرة] فأخبر أن الصدقة تبطل بما يتبعها من المن والأذى، فما يفي ثواب الصدقة بخطينة المن والأذى، ثم قال تعالى: **{كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ}** أي لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كما تبطل صدقة من راعى بها الناس، فأظهر لهم أنه يريد وجه الله، وإنما قصده مدح الناس له، أو شهرته بالصفات الجميلة ليُشكر بين الناس أو يقال: إنه كريم ونحو ذلك من المقاصد الدنيوية، مع قطع نظره عن معاملة الله تعالى، وابتغاء مرضاته وجزيل ثوابه، ولهذا قال: **{وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}**."

ما ذكره الحافظ ابن كثير -رحمه الله- جيد في الربط بين الجملتين، وجلي في توضيح المعنى.

"ثم ضرب تعالى مثل ذلك المرئي بإنفاقه، قال الضحاك: والذي يتبع نفقته مناً أو أذى فقال: **{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ}** [سورة البقرة] وهو جمع صفوانة، فمنهم من يقول: الصفوان يستعمل مفرداً أيضاً، وهو الصفا وهو الصخر الأملس."

في قوله سبحانه: **{فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ}** تشبيهه لحال الإنسان المرئي بالمطر الشديد الذي نزل على صخر أملس عليه تراب قد علق به، فأزال المطر هذا التراب، فلم يعد حينها محلاً لإخصاب النبات، ولا أرضاً طيبة تقبل المطر وتنبت العشب، فهذا مثل لحال المرئي.

¹ - رواه مسلم في كتاب الإيمان - باب بيان غلط تحريم إسبال الإزار والمن بالعطية وتنفيق السلعة بالحلف وبيان الثلاثة الذين لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم برقم (١٠٦) (ج ١ / ص ١٠٢).

والحافظ ابن القيم -رحمه الله- يشبه هذا الصفوان بقلب المنافق، والتراب الذي عليه بما ظهر للناس من عمله من صدقة أو سواها...، فعمل المنافق بمنزلة التراب الذي على الصفوان زاح عندما همع عليه ماء المطر. والصفوان يستعمل للمفرد والجمع بلفظ واحد، وبعضهم يقول: الصفوان مفرد وجمعه: صُفي بضم أوله وكسر ثانيه، وصفي بكسر الصاد والفاء.

"فَأَصَابَهُ وَابِلٌ وهو المطر الشديد".

الذي يكون قطره كبيراً متتابعاً.

"فَتَرَكَهُ صَلْدًا أي فترك الوايل ذلك الصفوان صلدًا، أي أملس يابسًا، أي لا شيء عليه من ذلك التراب".
بمعنى أنه رجع على حالته وصورته الحقيقية.

"بل قد ذهب كله، أي وكذلك أعمال المرأين تذهب وتضمحل عند الله، وإن ظهر لهم أعمال فيما يرى الناس كالتراب، ولهذا قال: **{لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ}**.

{وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرِيَّةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} [سورة البقرة] وهذا مثل المؤمنين المنفقين أموالهم ابتغاء مرضات الله عنهم في ذلك، وتثبيتاً من أنفسهم".

ورود هذه الآيات متتابعة على الرغم من كونها مختلفة في الدلالة جاءت على طريقة القرآن إذ يأتي بالشيء وما يقابله، فتجده يذكر حال أهل الجنة ثم يعرج على ذكر حال أهل النار، يورد صفة الجنة وأهلها وبعدها يعقب بذكر صفة النار وأهلها، يرغب ثم يرهب أو العكس وهكذا....

"وَتَثْبِيًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ أي وهم متحققون متثبتون أن الله سيجزيهم على ذلك أوفر الجزاء، ونظير هذا في معنى قوله -عليه السلام- في الحديث المتفق على صحته: **(من صام رمضان إيماناً واحتساباً)**^٢ أي يؤمن أن الله شرعه ويحتسب عند الله ثوابه".

فتحقيق القبول لهذه النفقات نابع من التصديق بوعد الله الناشئ من جهة أنفسهم، وباليقين الثابت الراسخ بعائدة هذه النفقة ومردودها، وأنها مخلوفة، أما من يرى هذه النفقة من المغرم، أو تعلق قلبه بها غاية التعلق فلا يخرجها إلا وهو متردد، يكاد قلبه ينخلع معها، فمثل هذا الإنسان ليس بهذه المثابة التي وصفها الله -عز وجل-، لأن من لازم قبول هذه النفقات احتسابها عند الله -عز وجل- وهو منتفٍ هنا.

وبعض أهل العلم يقول: إن قوله: **{ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيًا}** مفعول لأجله، والمعنى ومثل الذين ينفقون أموالهم طلباً لمرضات الله وطلباً للتثبيت، أو لأجل الابتغاء والتثبيت.....

وقيل: بل إن قوله: **{وَتَثْبِيًا}** مصدر، والمعنى أنهم بهذا الإنفاق يروضون النفس ويثبتونها، ويدربونها ويخطمونها بتقويتها على البذل والإنفاق لئلا تضعف، فتمتد أيديهم في الإنفاق طاعة لله -عز وجل-، وهذا المعنى الذي ذهب إليه كثير من أهل العلم ومنهم الحافظ ابن القيم -رحمه الله-.

² - رواه البخاري في كتاب الإيمان - باب صوم رمضان احتساباً من الإيمان برقم (٣٨) (٢٢/١)، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها - باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه برقم (٧٦٠) (٥٢٣/١).

وقيل: المعنى أن نفوسهم هي التي تثبتهم عند بذل هذه النفقات، وهذا قال به كثير من السلف، وهو اختيار كبير المفسرين ابن جرير الطبري، وكلا المعنيين تحتملها الآية.

قوله سبحانه: **{إِبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}** أي أن إنفاقهم خالصٌ لوجه الله -تبارك وتعالى-.

"وقوله: **{كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ}** أي كمثل بستان بربوة، وهو عند الجمهور المكان المرتفع المستوي من الأرض، وزاد ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- **والضحاك**: وتجري فيه الأنهار".

الربوة: هي ذات الارتفاع اليسير، والبستان إذا احتضنته ربوة فُضِّلَ على المكان المنخفض؛ لأن المكان المنخفض يكون مجعماً للأتربة، وأرضه فيها ضعف ورخوة، أما الربوة فأرضها أطيب وأصلب وأقوى وأثبت للنبات وأحفظ للماء ويضربها الهواء من كل ناحية، وتصيبها الشمس وما أشبه ذلك.

وقوله: **{أَصَابَهَا وَاِبِلٌ}** وهو المطر الشديد كما تقدم، **{فَأَتَتْ أَكْلَهَا}** أي ثمرتها، **{ضِعْفَيْنِ}** أي بالنسبة إلى غيرها من الجنان".

ابن القيم -رحمه الله- ينزل هذا المثل على المنفقين أموالهم في سبيل الله، ويجعلهم قسمين: الأول: السابقون بالخيرات، وهم الذين ينفقون الإنفاق الكثير الطيب ويتحرون في البذل أفضل أموالهم، فهؤلاء: **{كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَاِبِلٌ فَآتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ}**، والثاني: المقتصدون، وهم من كانت نفقاتهم دون ذلك فأصابها الطل، وهو الرذاذ أو المطر الخفيف، وكل ذلك يثمر أحسن الثمر، والله يجازي عليه أحسن الجزاء.

ومن أهل العلم من ينزل الآية على شيء واحد، باعتبار أن هذه الأرض -لطبيها وحسن منبتها وتربتها- إن أصابها وابل أخرجت ألوان الثمار والأشجار، وإن لم يصبها وابل يكفيها الطل، فتخرج بهجتها، ويمكن أن تشمل هذا النفقة قليل المال وكثيره إذا كانت طيبة من مال طيب، وبنفس طيبة من مخرجها مع تحقق الإخلاص لله -عز وجل- عند إخراجها، فتكون النفقة بهذه المنزلة.

والضمير في قوله سبحانه: **{أَصَابَهَا وَاِبِلٌ}** يحتمل أن يرجع إلى الجنة لأنها موضع الحديث، ويحتمل أن يرجع إلى الربوة، وما دام أن الأصل في عودة الضمير أن يرجع إلى أقرب مذكور، فأقرب مذكور هو الربوة، والواقع أن بينهما تلازماً، والله أعلم.

قوله سبحانه: **{فَأَتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ}** قال ابن القيم: اختلف في الضعفين، فقيل: ضعف الشيء مثله زائداً عليه، وضعفه مثله، وقيل: ضعفه مثله، وضعفه ثلاثة أمثاله، وثلاثة أضعافه أربعة أمثاله، كلما زاد ضعفاً زاد مثلاً، والذي حمل هذا القائل على ذلك فراره من استواء دلالة المفرد والتنثية فإنه رأى ضعف الشيء هو مثله

الزائد عليه، فإذا زاد إلى المثل صار مثلين وهما الضعف، فلو قيل لها ضعفان لم يكن فرق بين المفرد والمثلي، فالضعفان عنده مثلان مضافان إلى الأصل، ويلزم من هذا أن يكون ثلاثة أضعاف ثلاثة أمثاله مضافة إلى الأصل ومثله، وعليه يدل قوله تعالى: **{فَأَتَتْ أَكْلَهَا ضِعْفَيْنِ}** أي مثلين، وقوله تعالى: **{يُضَاعَفُ**

لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} [سورة الأحزاب] أي مثلين، ولهذا قال في الحسنات: **{نُؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ}** [سورة الأحزاب]، وأما ما توهموه من استواء دلالة المفرد والتنثية فوهمٌ منشؤه الظنُّ أن الضعف هو المثل مع الأصل وليس كذلك، بل المثل له اعتباران، إن اعتبر وحده فهو ضعف، وإن اعتبر مع نظيره فهما ضعفان، والله أعلم.

"**فإن لم يصبها وابل فطل** قال الضحاك: هو الرذاذ وهو اللين من المطر، أي هذه الجنة بهذه الرطوبة لا تمحل أبداً".

تقدير المقطع: **{فإن لم يصبها وابل فطل}** أي يكفيها الطل.

"لأنها إن لم يصبها وابل فطل، وأياً ما كان فهو كفايتها، وكذلك عمل المؤمن لا يبور أبداً، بل يتقبله الله ويكثره وينميه، كل عامل بحسبه، ولهذا قال: **{والله بما تعملون بصير}** أي لا يخفى عليه من أعمال عباده شيء".

{أبودُ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعاب تجري من تحتها الأنهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها إعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون} [٢٦٦] سورة البقرة].

ابن جرير يرى أن هذا المثل الذي ضربه الله للمنفقين أموالهم رياء الناس في هذه الآية، نظير المثل الآخر الذي ضربه لهم بقوله: **{فمثلته كمثل صفوان عليه تراب...}** [٢٦٤] سورة البقرة، ويقول: هذا مثل آخر لنفقة الرياء، إنه ينفق ماله يرئى الناس به، فيذهب ماله منه وهو يرئى فلا يأجره الله فيه، فإذا كان يوم القيامة واحتاج إلى نفقته وجدها قد أحرقتها الرياء، فذهبت، كما أنفق هذا الرجل على جنته، حتى إذا بلغت وكثر عياله واحتاج إلى جنته جاءت ريح فيها سموم فأحترقت جنته، فلم يجد منها شيئاً. فكذاك المنفق رياء.

{وأصابه الكبر} الواو يمكن أن تكون حالية والمعنى وقد أصابه الكبر.

{فأصابها إعصار} الإعصار: الريح الشديدة التي تهب من الأرض مرتفعة إلى السماء، تدمر ما يمر بها في طريقها.

"روى البخاري عند تفسير هذه الآية عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-، وعن عبيد بن عمير أن عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه- قال يوماً لأصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- ورضي عنهم: فيمن ترون هذه الآية نزلت: **{أبودُ أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعاب}**؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر وقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما-: ضربت مثلاً لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لرجل غني يعمل بطاعة الله، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله".

كلام ابن عباس يعني أن الآية أعم من أن يكون مختصاً بها المنافق، ويشهد لذلك حديث: **{إن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها...}**^٣.

"وفي هذا الحديث كفاية في تفسير هذه الآية، وتبيين ما فيها من المثل بعمل من أحسن العمل أولاً، ثم بعد ذلك انعكس سيره فبذل الحسنات بالسيئات عياداً بالله من ذلك، فأبطل بعمله الثاني ما أسلفه فيما تقدم من الصالح، واحتاج إلى شيء من الأول في أضيق الأحوال، فلم يحصل له منه شيء فخانه أحوج ما كان إليه،

³ - رواه البخاري في كتاب القدر - برقم (١٢٢٦) (٢٤٣٣/٦)، ومسلم في كتاب القدر - باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته برقم (٢٦٤٣) (٢٠٣٦/٤).

ولهذا قال تعالى: **{وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ}** وهو الريح الشديد، **{فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ}** أي أحرق ثمارها، وأباد أشجارها فأي حال يكون حاله؟

وقد روى ابن أبي حاتم من طريق العوفي عن ابن عباس -رضي الله تعالى عنهما- قال: ضرب الله مثلاً حسناً، وكل أمثاله حسن، قال: **{أَيُّوْدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ}** يقول: ضيعه في شببته، **{وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ}** وولده وذريته ضعاف عند آخر عمره، فجاءه إعصار فيه نار فأحرق بستانه فلم يكن عنده قوة أن يغرس مثله، ولم يكن عند نسله خير يعودون به عليه، وكذلك الكافر يوم القيامة إذا رُد إلى الله -عز وجل- ليس له خير فيستعقب، كما ليس لهذا قوة فيغرس مثل بستانه، ولا يجده قدم لنفسه خيراً يعود عليه، كما لم يغن عن هذا ولده، وحُرْم أجره عند أفقر ما كان إليه، كما حرم هذا جنة الله عند أفقر ما كان إليها عند كبره وضعف ذريته.

وهكذا روى الحاكم في مستدركه: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يقول في دعائه: **((اللهم اجعل أوسع رزقك عليّ عند كبر سني وانقضاء عمري))**، ولهذا قال تعالى: **{كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ}** أي تعتبرون وتفهمون الأمثال والمعاني، وتنزلونها على المراد منها، كما قال تعالى: **{وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ}** [سورة العنكبوت].

في ضرب هذا المثل عبرة عظيمة جداً لكل إنسان فرداً كان أو جماعة أو غير ذلك، أن يحذر درب الغواية بعد الهداية؛ لأن العبد إذا كانت له أعمال طيبة، وأيادٍ بيضاء، ونفع للقریب والبعيد، وتعليم للناس، ويحمل الاعتقاد الصحيح وما إلى ذلك، ثم بعد ذلك ينسلخ من هذا الخير، ويتصل منه، ويدير ظهره له، ويركب موجة أخرى تناقض ما كان عليه في السابق، فبصنيعه هذا يهدم كل ما بناه بيديه عبر السنين الطوال، وينقض ما كان يشتغل به، ويبدل فيه الوقت والمال وما أشبه ذلك، وهذه الأيام تعج بمثل هذه التقلبات والانتكاسات، نسأل الله أن يثبتنا وإياكم بالقول الثابت.

والله أعلم، وصلى الله وسلم، وبارك على نبيه وآله وصحبه وسلم.